معهد الدوحة الدولي للدراسات الأسرية والتنمية
DOHA INTERNATIONAL INSTITUTE
for Family Studies and Development

Member of Qatar Foundation

تمكين الأسرة في العالم المعاصر:
«تحديات وآفاق مستقبلية»

٢٧ - ٢٨ يناير ٢٠١٠
الدوحة - قطر

أيمن زهري

الهجرة والأسرة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا

يسرت وسائل الانتقال الحديثة والإنفتاح الإعلامي وتباين الثروات بين الأمم سبل الهجرة حتى أصبحت الهجرة سمة من سمات العصر الحديث. وعلى الرغم من وجود أكثر من ٢٠٠ مليون إنسان خارج بلادهم التي ولدوا فيها، فإن الهجرة لا تمثل أكثر من ٣ بالمائة من إجمالي سكان العالم. ونظرا لأن نسبة كبيرة من هذه الهجرات تندرج تحت تصنيف هجرة العمل، فإن نسبة كبيرة من المهاجرين يضطرون للهجرة الى بلاد أخرى دون إصطحاب ذويهم مما يؤدي الى تفرق شمل الاسرة، الذي يؤدي بدوره الى العديد من المشكلات الاجتماعية التي تشهدها الدول المرسلة والمستقبلة على حد سواء. من هنا أصبح البحث في الآثار الناجمة عن الهجرة وتأثيرها على الاسرة مطلبا هاما لمحاولة تلافي الآثار السلبية للهجرة وتعظيم منافعها.

تعريف الهجرة

قبل التطرق الى بيان الآثار الناتجة عن الهجرة وأثرها على الاسرة، حري بنا أن نضع تعريفاً إجرائيا للهجرة يتناسب مع الغرض من هذه المداخلة. الهجر في اللغة العربية ضد الوصل وتعني أن يترك الانسان المكان الذي نشأ فيه الى مكان آخر، سواء بإختياره فتسمى هجرته هجرة طوعية، أو مرغما فتسمى هجرة قسرية. وp ديثا هنا ينصب بالاساس على الهجرة الطوعية. وكما أسلفنا الذكر فإن الهجرة الطوعية تمثل إنعكاسا لتباين الثروات بين الامم، وتعد بذلك واحدة من الميكانيزمات التي تضطلع بتوفير قوة العمل اللازمة للنشاط الاقتصادي في البلاد التي لا يستطيع سكانها توفير القوى العاملة اللازمة للإقتصاد الوطني. وسوف أستخدم كلمة هجرة هنا، للإشارة الى إنتقال الأشخاص من دولة إلى أخرى بغض النظر عن وضعيتهم القانونية، سواء تم تصنيفهم على أنهم مهاجرين دائمين أو عمالة مؤقتة أو «عمالة وافدة» كما يطلق عليهم في بلدان الخليج العربي.

الهجرة والاسرة

يختلف تأثير الهجرة على الأسرة بإختلاف طبيعة تيارات الهجرة، هجرة الى بلد ما من بلدان أخرى أو هجرة من بلد ما الى بلدان أخرى، كما يختلف تأثير الهجرة على الاسرة طبقاً لنوع المهاجر ومكانته أو وضعيته داخل الاسرة. وفي هذا الصدد يمكن التفرقة بين ثلاثة أنواع مختلفة للهجرة وتأثيرها على الاسرة:

- هجرة رب الاسرة للعمل أو الاقامة المؤقتة في دولة أخرى وأثرها على الاسرة في دولة المنشأ
- هجرة الشباب للعمل أو الاقامة المؤقتة في دولة أخرى وأثرها على الاسرة في دولة المنشأ
- الهجرة الوافدة وأثرها على قيم الاسرة والهوية الوطنية في دولة الإستقبال

١. أثر الهجرة بصفة عامة على التركيبة السكانية والهوية الوطنية في دولة الإستقبال

٢. أثر إستقدام العمالة المنزلية وأثرها على قيم الاسرة في دولة الإستقبال

أولا: هجرة رب الاسرة للعمل أو الاقامة المؤقتة في دولة أخرى وأثرها على الاسرة في دولة المنشأ

تؤدي هجرة رب الاسرة للعمل أو الاقامة المؤقتة في الخارج الى تفتيت شمل الاسر، وإنقسامها الى أسرتين، أسرة في دولة المنشأ وأخرى في دولة الاستقبال. ونظرا لعدم إعتياد غالبية الأسر العربية على الاعتماد على المرأة كرب للأسرة، فإن هجرة الزوج تمثل عبء مضافا على كاهل المرأة العربية، ربة الاسرة المفترضة في حال غياب الزوج. أضف الى ذلك أن غياب العائل يحرم الأبناء من الرعاية الأبوية التي تمثل دعما معنويا ونفسيا لأفراد الاسرة لا يعوضه إضطلاع الام بهذا الدور خاصة إذا كان الابناء في مرحلة الطفولة المبكرة أو في فترة المراهقة، ويؤدي غياب رب الاسرة الى ظهور العديد من المشكلات مثل ظاهرة التأخر الدراسي وإنحراف الابناء.

لكن آثار هجرة العائل عادة، لا تكون بهذه الصورة القاتمة دائما، فقد أثبتت الدراسات الميدانية في كل من مصر والاردن على سبيل المثال أن غياب الزوج يؤدي الى زيادة تمكين المرأة وإضطرارها للإضطلاع بدور رب الاسرة في التعامل مع المحيط الخارجي مثل متابعة تعليم الابناء ورعايتهم. كما أثبتت الدراسات الميدانية أن العديد من النساء أصبحن قادرات على إدارة أعمال الاسرة التجارية والاستثمارية في حال غياب الزوج مثل التصرف في التحويلات المالية التي يرسلها المهاجر. أضف الى ذلك أن التحويلات المالية التي يرسلها الزوج تؤدي في معظم الاحيان الى إرتفاع المستوى الاقتصادي والاجتماعي للأسرة بما يسمح لها بحياة أفضل.

ولكن لما يسافر الازواج بمفردهم؟ يسافر الازواج بمفردهم عادة لعدة أسباب أهمها رخص تكاليف الحياة في دولة المنشأ بما يؤدي الى تراكم رأسمالي أكبر في صورة تحويلات لدولة المنشأ في حال ترك الاسرة هناك. كما يضطر العديد من المهاجرين الى ترك أسرهم بسبب طبيعة عقد العمل أو الدخل في دولة الاستقبال الذي لا يسمح بإصطحاب الاسرة. والجدير بالذكر أن بعض الدول تضع حدا أدنى للراتب الشهري للمهاجر لكي يتمكن من إصطحاب أسرته معه، وأحيانا أخرى تكون طبيعة عمل الزوج غير مناسبة لإصطحاب الاسرة.

ثانيا: هجرة الشباب للعمل أو الاقامة المؤقتة في دولة أخرى وأثرها على الاسرة في دولة المنشأ

أدت هجرة الشباب في العديد من دول المنطقة الى خلل في التركيبة السكانية لهذ الدول ونذكر على سبيل المثال حالة لبنان، حيث يهاجر العديد من الشباب اللبناني للخارج، الى الغرب أو الى دول الخليج، بما يؤدي الى تفريغ الدولة من شبابها. ويؤدي ذلك الى إنخفاض أعداد الشباب – الذكور عادة – مقارنا بأعداد الاناث في الفئة العمرية الشابة، كما يؤدي الى إفتقاد العديد من الأسر الى عائل يتولى شئون الاسرة. عندما يتحول الشباب الى معين مادي فقط من خلال التحويلات الى دولة المنشأ.

ثالثا: الهجرة الوافدة وأثرها على قيم الاسرة والهوية الوطنية في دولة الإستقبال

يمكن أن نفرق هنا بين نوعين من أنواع التأثير الذي تسببه كثافة الهجرة الوافدة، أثر الهجرة بصفة عامة على التركيبة السكانية والهوية الوطنية في دولة الإستقبال، وكذلك أثر إستقدام العمالة المنزلية وأثرها على قيم الاسرة في دولة الإستقبال:

أثر الهجرة بصفة عامة على التركيبة السكانية والهوية الوطنية في دولة الإستقبال

تدرك الغالبية العظمى من مواطني دول مجلس التعاون الخليجي أن وجود هذه الكثافات العددية الضخمة من الوافدين من جنسيات شتى يؤثر على التركيبة السكانية والهوية الوطنية لبلدانهم، عندما يعيش المواطن الخليجي على أرضه وبجواره يعيش مواطنون ينتمون الى أكثر من ١٩٠ جنسية لابد أن يؤدي ذلك الى إنزعاج المواطن الخليجي وقلقه على مستقبل بلاده. وهذا الانزعاج مبرر الى حد كبير نظرا لإختلاف القيم والعادات بين الوافدين وأبناء الخليج الذين يتمسكون بعاداتهم وتقاليدهم في ظل هذا الموزاييك الدولي.

عندما يضطر المواطن الخليجي الى التحدث بلغة غير لغته بصفة يومية حتى يتعامل مع الخدم ومقدمي الخدمات في كافة القطاعات المرتبطة بمصالح المواطنين بدءً من الخادمة السريلانكية أو الفلبينية أو الماليزية التي لا تجيد العربية مرورا بالسائق الهندي وعامل الكاشير الفلبيني ونادل المقهى السريلانكي وإنتهاءً بالخادمة الآسيوية عند العودة للمنزل، لابد أن يؤثر ذلك على إحساس المواطن بالإنتماء وعلى هويته الثقافية.

أثر إستقدام العمالة المنزلية وأثرها على قيم الاسرة في دولة الإستقبال

يعتمد مواطنوا دول مجلس التعاون الخليجي على العمالة الوافدة في آداء الخدمات المنزلية، عندما

تتولى الخادمات اللاتي لا يُجدن اللغة العربية رعاية أبناء المواطنين، وينقلهم الى المدرسة أشخاص ذوي إنتماءات ثقافية ومعرفية مختلفة، لابد أن تكون هناك مشكلة. إن أثر إستقدام عمالة منزلية من جنسيات لا تجيد لغة دولة الاستقبال ولا ثقافتها، لابد أن يؤثر ذلك على هوية هؤلاء الابناء.

التوصيات:

في ختام هذه المداخلة، أتقدم ببعض التوصيات التي يمكن أن تساهم في تعظيم منافع الهجرة والتقليل من آثارها السلبية على الأسرة في كل من دول الارسال ودول الاستقبال:

لم شمل الاسر:

من شأن تشجيع لم شمل الاسر وإتاحة الفرصة للعامل الوافد في إستقدام أسرته، أن ينعكس ذلك على توازنه النفسي بما ينعكس على معدلات الاداء والانتاجية للعامل الوافد، وكذلك مراعاة القواعد والاعراف الدولية الخاصة بلم شمل الاسر.

دعم أسرة المهاجر:

يجب أن تقوم الهيئات المختصة بدول المنشأ بتقديم الدعم النفسي والاجتماعي لأسرة المهاجر أثناء غيابه للحفاظ على كيان الاسرة.

ترشيد الهجرة:

ترشيد الهجرة الى الدول كثيفة الهجرة وتدريب العمالة الوطنية وإتباع الخطط الكفيلة بإحلال العمالة الوطنية محل العمالة الوافدة ونقل بعض الاستثمارات كثيفة العمل للخارج.

العمالة المنزلية:

ترشيد الاعتماد على العمالة المنزلية لما لها من آثار خطيرة على بنيان الاسرة في دول المقصد ووضع ضوابط صارمة للعمالة المنزلية تتضمن ضرورة إتقان العمالة المنزلية للغة دولة الاستقبال وضرورة إنخراط هذا النوع من العمالة في دورات تدريبية حول قيم وعادات المجتمع المحلي.